

لغة – كلام

مجلة فصلية محكمة

تعني بالأبحاث والدراسات في مجال اللغة والنواصل

تصدر عن مختبر اللغة والنواصل

بالمركز الجامعي بغيليزان/الجزائر

السنة الثالثة. المجلد الثالث. العدد الثالث

ربيع الثاني 1439 هـ - ديسمبر 2017 م



ISSN : 2437- 0746

EISSN: 2600-6308

الهاتف: 00213670117979

<http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176>

<http://www.cu-relizane.dz/images/stories/SiteLabo/SiteLaboTawasol48/Ar-AC.htm>

البريد الالكتروني: laboratoireTawasol48@yahoo.fr

المدير مسؤول النشر / رئيس التحرير

د/ مفلح بن عبد الله

الهيئة العلمية

من الجزائر

أ.د. ملياني محمد. جامعة وهران 1

أ.د. مونسي حبيب. جامعة سيدي بلعباس

أ.د. العربي عميش. شلف

أ.د. حمودي محمد. جامعة مستغانم

أ.د. ملاحي علي. جامعة الجزائر 2

أ.د. بوطجين سعيد. جامعة مستغانم

أ.د. حمو الحاج ذهينة. جامعة تيزي وزو

أ.د. زروقي عبد القادر. جامعة تيارت

أ.د. عقاق قادة. جامعة سيدي بلعباس

أ.د. الشريف بوشعدان جامعة. جامعة عنابة

أ.د. اسطبول ناص. جامعة وهران 1

من خارج الجزائر

أ.د. أحمد حساني. الإمارات العربية المتحدة

أ.د. لزعر مختار. المملكة العربية السعودية

أ.د. دلدار عبد الغفور البالكبي. العراق

أ.د. عبد القادر فيدوح. جامعة قطر

أ.د. حاتم عبيد. المملكة العربية السعودية

أ.د. بريمي عبد الله. المملكة المغربية

أ.د. سعيد كرمي. المملكة المغربية

أ.د. ناعيم مليكة. المملكة المغربية

أ.د. ضياء غني العبودي. العراق

أ.د. بوقرة نعمان. المملكة العربية السعودية

أ.د. عز الدين الناجح. المملكة العربية السعودية

أمانة التحرير

أ. بوقط الطيب

أ. بويش منصور

قواعد النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث الرصينة المتعلقة بقضايا اللغة والنوصل باللغة العربية، مع إمكان النشر باللغتين الإنجليزية والفرنسية؛ إذا رأت هيئة التحرير أهمية ذلك.
2. تنشر البحوث في المجلة بعد أن تخضع لفحص لجنة تحكيم من ذمي الاختصاص، للتقييم وإبداء الرأي في صلاحيتها للنشر أو عدمها.
3. يجب أن لا تزيد عن عشرين صفحة من الحجم العادي (A4).
4. يراعى في تنسيق خط المشاركات الالتزام بالآتي:
في متن النص يستخدم الخط (Amiri) عادي (حجم 15).
في الهوامش يستخدم الخط (Amiri) عادي (حجم 12).
في العناوين يستخدم الخط (Amiri) غامق (حجم 15).
5. تكتب الاحالات والتعليقات جميعها في آخر البحث ألياً.
6. تكون الحواشي 2 سر على جوانب الصفحة الأربعة.
7. الجداول والرسومات والمخططات تكون بصيغة JPG.
8. تكتب المصادر والمراجع مفصلة في آخر البحث في قائمة خاصة لها، وفق الترتيب التالي: المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، البلد، السنة، الطبعة والصفحة، وذلك وفق منهجية الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA).
9. يرفق الباحث ملخصاً لبحثه في حدود (80 كلمة)، وكلماته الدالة في حدود (5 كلمات) باللغة العربية والفرنسية أو الإنجليزية.
10. يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه لأي جهة أخرى للنشر حتى يصله رد المجلة.
11. يلتزم الباحث بإجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلّة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز 15 يوماً.
12. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد إرساله للتحكيم إلا لأسباب تقتضها هيئة التحرير.
13. قرارات هيئة التحرير بشأن البحوث المقدمة إلى المجلة نهائية، وتحفظ الهيئة ختها في عدم إبداء مبررات لقراراتها.
14. لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد موافقة هيئة التحرير على تاريخ نشره في المجلة بشرط أن يشير إلى ذلك.

المحتويات

07	عبد الله بريمي	السميائيات وموضوعها العلامة أم السميوزيس؟ (السميائيات بين فكرة الفعل وفكرة القوة الفاعلة)
21	بلقندوز الهواري	حجاجية التكرار في الخطاب السياسي (نص قرار مجلس الأمن 1483 نموذجاً)
33	شادلي سميرة، راضي ميمونة بن عبد الرحمن نصيرة،	دراسة ضعف التعبير الشفوي في المراحل التعليمية
49	عائشة بنت عبد الله علي جراح	ظاهرة النفي في اللغة العربية (دراسة في التركيب والدلالة)
69	خيرة بن علوة	المنافذ.. ومعارض التلقي (قراءة في إشكالية: اللغة الإبداعية والفهم)
85	كباس عبد القادر	النظم من الإعجاز إلى الشعرية (قراءة في الدرس الجرجاني بين المنجز والمأمول)
103	بن عزوزي مريم	دلالة التقديم والتأخير في سورة البقرة (التحرير والتنوير- نموذجاً)
119	رحال هشام	بلاغة تأويل الخطاب القرآني عند القاضي البيضاوي
141	بونوة خيرة	صناعة الفكرة في المسرحية
153	بوغرارة عزيزة	التماسك التداولي في علوم القرآن
173	غنية بوساحية	الشعرية بين جاكوبسون ومحمد مفتاح
203	هشام بن سعدة	بناء الشخصية في رواية "شعلة المائدة" لمحمد مفلح
221	كركاغي هشام	الفصل والوصل عند عبد القاهر الجرجاني (نحو بلاغي أم بلاغة نحوية؟)
239	آسية لوحيشي	اللغة بين يعقوب الكندي وابن البناء (في بيان المفهوم والعوارض وعلاج العلل)
251	جميات منى	ثنائية الموت والحياة في الرواية الجزائرية المعاصرة (قراءة في رواية "يوم رائع للموت" لسمير قسيمي)
263	عطاطفة بن عودة	الشعر العربي بين الأصالة والمعاصرة
273	وديحي رشيد	التعدد اللغوي وحوارية الخطاب في الرواية عند باختين (التجليات والدلالة)
289	حنك عبد الوهاب	المصطلح اللساني عند عبد القادر الفاسي الفهري بين النظرية التوليدية التحويلية والنظرية المعجمية الوظيفية

كلمة العدد

يسر هيئة التحرير أن تضع بين أيدي الباحثين العدد السادس من مجلة "لغة - كلام" التي يصدرها مختبر اللغة والتواصل بالمركز الجامعي بغيليزان، وقد تضمن هذا العدد مجموعة من البحوث والدراسات الأكاديمية المتميزة في موضوعات تراوحت بين دراسات لغوية ومقالات نقدية، تتماشى ونهج المجلة، فقد ناقش بريمي عبد الله من المغرب موضوع "السميائيات بين فكرة الفعل وفكرة القوة الفاعلة"، ودرس بلقندوز الهواري من الجزائر "حجاجة التكرار في الخطاب السياسي" متخذاً من قرار مجلس الأمن 1483 نصاً تطبيقياً، ومن السعودية تطرقت عائشة بنت عبدالله علي جراح إلى "ظاهرة النفي في اللغة العربية".

إن هذه الدراسات وغيرها جاءت لتثري الساحة الفكرية، وتسهم في خلق حالةٍ من النقاش النقدي الجاد.

ووفاء بالوعد الذي قطعته المجلة على نفسها منذ عددها الأول، فقد خصصت مساحة معتبرة لطلبة الدكتوراه، ومنحتهم فرصة التعبير عن أنفسهم معرفياً، ونأمل أن تنال اجتهاداتهم هذه رضى القراء.

أخيراً وليس آخراً، نأمل أن نكون قد أحسنّا العمل، فنحن نعمل لغائتين؛ لننجح ولنؤدي الواجب، فإن فائتنا الأولى فلا تفوتنا الثانية.

مدير المجلة

د/ مفلح بن عبد الله

التماسك التداولي في علوم القرآن

بوغرارة عزيزة
جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2 (الجزائر)
azizabougherara@gmail.com
إشراف د/ جمال موسى

La cohésion pragmatique en sciences du coran

Aziza Bougherara
Université d'Alger 2 (Algérie)
azizabougherara@gmail.com

التماسك التداولي في علوم القرآن

بوغراة عزيزة

جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2 (الجزائر)

azizabougherara@gmail.com

إشراف د/ جمال موسى

الملخص:

التماسك التداولي هو علاقة النص بالسياق غير اللغوي: سواء أكان سياقاً تاريخياً، ثقافياً أو مقامياً، أو اجتماعياً. وغالباً ما يكون في النص الشفوي باعتباره موقفاً تواصلياً. وهذا ما أكدته علماء القرآن من قبل باعتبار أن دلالة النص ومعانيه لا تتكشف إلا بمراعاة السياق الخارجي له، ففهم المتلقي للنص القرآني لا يحصل على الوجه الأمثل إلا بمراعاة كل من (السياق العام والسياق الخاص) وكل ما يحيط به من ظروف و ملائسات.

وقد أيقن علماء القرآن أن اللغة لا تصف النص القرآني فحسب وإنما تعين على فهمه وذلك من خلال ربط النص بالمخاطبين وثقافتهم العربية. كما بينوا تأثير الانتقال من مكة إلى المدينة؛ أو التغيير في الزمان والمكان والمخاطبين، على النص من حيث الألفاظ والمعاني والأغراض والشكل والموضوع. وهو ما يعكس التماسك التداولي للنص في المدينتين. فربط النص بسياقه الخارجي يحقق مقبوليته من خلال تقوية مرجعيته الواقعية. كما يعين المتلقي على تفسير المبهمات عن طريق الإحالة الخارجية باعتبارها قرائن تربط النص بالسياق اللغوي وغير اللغوي، وهذا الأخير هو مبدأ التماسك التداولي.

الكلمات المفتاحية: النص؛ السياق اللغوي وغير اللغوي؛ الإحالة؛ التماسك التداولي.

La cohésion pragmatique en sciences du coran

Aziza Bougherara

Université d'Alger 2 (Algérie)

azizabougherara@gmail.com

Abstract :

La cohésion pragmatique est la relation qu'entretient le texte avec son contexte extralinguistique qu'il soit historico-culturel, situationnel ou social. Le contexte extralinguistique est généralement mieux mis en exergue dans le texte verbal puisque ce dernier est considéré comme une situation de communication et d'ailleurs, c'est ce que les Oulémas ont déjà affirmé en mentionnant que la signification et les sens d'un texte ne peuvent être dévoilés qu'en tenant compte de son contexte extérieur. Ceci dit que le récepteur ne pourrait comprendre le sens du texte coranique qu'en tenant compte de ses contextes général et particulier et de toutes les circonstances et les conjonctures qui l'entourent. Les Oulémas étaient certains que la langue ne décrit pas uniquement le texte coranique mais elle aide aussi à le comprendre à travers la liaison qu'elle crée entre le texte coranique d'une part, ses destinataires et leur culture arabe d'autre part. Ils ont montré également l'effet produit par le déplacement de la Mecque vers la Médine c'est-à-dire l'impact qu'avait le changement du plan spatio-temporel et des destinataires du message sur le texte coranique et particulièrement sur ses termes, ses sens, sa forme et son thème ce qui reflète la cohésion pragmatique du texte coranique entre les deux villes. En effet, relier le texte à son contexte extérieur assure sa recevabilité à travers le renforcement de sa référence authentique et aide le destinataire à interpréter les ambigus en recourant à la référence extérieure en tant qu'indices reliant le texte coranique à son contexte linguistique et surtout à celui extralinguistique qui est considéré comme le principe de la cohésion pragmatique.

Mots-clés : Texte, contexte linguistique et extralinguistique, référence, cohésion pragmatique.

في الوقت الذي قطعت فيه البنيوية أشواطاً كبيرة في تفسير الظاهرة اللغوية ووصفها وصفاً نسقياً تم فيه إقصاء السياق غير اللغوي، ظهرت اللسانيات التداولية التي أعادت الاعتبار للعناصر غير اللغوية المؤثرة في عملية التواصل وجعلت منها وسائل لتحليل الظاهرة اللغوية، من خلال تناولها لعلاقة النص بالسياق الخارجي؛ أو ما يسمى التماسك التداولي.

في حين فطن علماء العرب والمسلمين من قبل إلى أن القرآن ليس مجرد نص يتشكل وفق القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي درجت عليها لغة العرب الفصحاء، بل هو نص له علاقة بالسياق الخارجي، وهو ما يناسب مفهوم التماسك التداولي في اللسانيات الحديثة.

فكيف تناول علماء القرآن مفهوم التماسك التداولي للنص القرآني مع سياقه الخارجي؟ وإلى أي مدى تصل أهميته وفعاليته في فهم المتلقي للنص القرآني؟

أولاً: التماسك التداولي:

1/ تعريف التماسك والتماسك التداولي:

تُجمع جل المعاجم العربية على أن لفظ التماسك في اللغة مقابل للتفكك، وهو الترابط التام، والشدة، والصلابة، والتوازن، وعدم الانفلات. فقد ورد في "أساس البلاغة": «مَسَكَ: أَمْسَكَ الحَبْلَ، وَغَيْرَهُ وَأَمْسَكَ بالشيءِ وَمَسَكَ وَتَمَسَكَ وَاسْتَمَسَكَ وَأَمْسَكَ، وَأَمْسَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» و"أَمْسَكَتُ عَلَيْهِ مَالَهُ حَبْسَتُهُ"، و"أَمْسَكَتُ عَنْ الْأَمْرِ: كَفَّ عَنْهُ" و"اسْتَمَسَكَتُ وَتَمَسَكَتُ أَنْ أَقَعَ عَنِ الدَّابَّةِ وَغَيْرِهَا"، وغشني أمر مقلق فَمَتَمَسَكَتُ وفلان يَتَفَكَّكُ وَلَا يَتَمَسَّكُ، وَمَا تَمَسَكَ أَنْ قَالَ ذَلِكَ وَمَا تَمَلَّكَ، وَهَذَا حَائِطٌ لَا يَتَمَسَّكُ وَلَا يَتَمَلَّكُ¹. وفي "معجم مقاييس اللغة": «وَالْمَسَكَةُ مِنَ الْبُيْرِ الْمَكَانُ الصَّلْبُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى طَيِّ، وَهُوَ الْقِيَاسُ، لِأَنَّهُ مُتَمَسِكٌ. وَالْمَسَكُ، الْإِهَابُ، لِأَنَّهُ يَمْسِكُ فِيهِ الشَّيْءُ إِذَا جُعِلَ سِقَاءً، وَمَا شَدَّ عَنْهُ الْمَسَكُ مِنَ الطَّيِّ². فالتماسك هنا يحمل معنى الشدة والصلابة. وورد في "لسان العرب": «المسيك من الأساقِي التي تَحْبِسُ الْمَاءَ فَلَا يَنْضَحُ وَأَرْضٌ مَسِيكَةٌ لَا تُنَشِفُ الْمَاءَ لِصَلَابَتِهَا، وَأَرْضٌ مَسَاكٌ أَيَّضًا³. فالتماسك إِذَا جَاءَ بِمَعْنَى الْحَبْسِ، وَعَدَمُ الْإِنْفِلَاتِ.

أما اصطلاحاً فيقابل مصطلح "التماسك" أو "السبك" أو "الترابط" أو "التناغم" المصطلح الأجنبي (Cohérence)⁴. هذا المصطلح الأخير عرف تبين آراء الدارسين بشأنه، وذلك من خلال إيجاد مقابل عربي له، فترجمه "تمام حسان" إلى "الالتحام"⁵ و"أبو غزالة الهام" و"علي خليل حمد" إلى "التقارن"⁶، و"فالح بن شبيب العجمي" إلى "التناسق"⁷، كما ترجمه كل من "الأزهر الزناد"⁸ و"إبراهيم الفقي"⁹، و"خولة إبراهيم"¹⁰، و"عبد القادر المهيري" و"حمادي صمود"¹¹، و"محمد خطابي"¹² إلى "الانسجام".

ويقابل كذلك مصطلح "التماسك" المصطلح الأجنبي (Cohesion)¹³ الذي ترجم هو الآخر إلى عدة مقابلات في اللغة العربية، فترجمه كل من "محمد خطابي"¹⁴ و"عبد القادر المهيري"، "حمادي صمود" إلى "الاتساق"¹⁵، و"تمام حسان" إلى "السبك"¹⁶، وترجمته "إلهام أبو غزالة" و"علي خليل حمد" إلى "التضام"، أما "عمر عطاري" فترجمه إلى "الترابط" ويطرجه "عبد القادر قنيني" إلى "الإلتئام".¹⁷ كما يقابل "برينكر" (Brinker) مصطلح "التماسك" بمصطلح الأجنبي "Textchoharenz".¹⁸

• التماسك التداولي:

يرى "صبحي إبراهيم الفقي"، أن مصطلحي "الاتساق" و"الانسجام" (Cohésion et Cohérence) يتصلان بالتماسك النصي، ومن ثم وجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما وليكن (Cohésion) ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقات التماسك الشكلية بما تحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك المعنوية بين أجزاء النص من ناحية وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.¹⁹ حيث: «يسمى ترابط عناصر النص فيما بينها تماسكا دلاليا، ويسمى ارتباط النص مع السياق غير اللغوي تماسكا تداوليا». ²⁰ «فالتماسك الدلالي قائم على وحدة الموضوع، أما التماسك التداولي للنص قائم على عناصر خاصة بالاتصال». ²¹

وذلك من منطلق: تضمين (احتضان) نص ما في موقف اتصالي بوصفه أداة اتصال يؤدي وظيفة تواصلية، يحاول من خلالها المرسل أن يدرك مقاصد محددة، يتم فهمها من الناحية اللغوية على شكل أحداث كلامية؛ وذلك من منطلق أن التداولية هي العلم الذي يعنى بالشروط والقواعد اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة، وناجحة، وملائمة في الموقف الاتصالي، فهي معنية إذن بالشروط والقواعد اللازمة للملائمة بين القول ومقتضيات الموقف الخاص به؛ أي العلاقة بين النص والسياق. ²²

أو بتضمين النص ضمن منظومة الثقافة والتاريخ التي يتشكل منها وفيها النص، أو تضمينه ضمن سياق خاص يمكن أن نطلق عليه (المقام) يشمل على مجموعة الظروف والملابسات التي اكتتفت كتابة النص، وتقاس درجة التماسك والترابط في ذلك النص بالنسبة للسياق الذي يظهر فيه وهذا ما اقترحه جوليا كريستيفا. ²³ ويعرف "إبراهيم صبحي الفقي" التماسك التداولي في سياق تعليقه على بعض تعاريف النص بقوله: «وقد أكدت كذلك الناحية التداولية أو التماسك التداولي، بمعنى مراعاة صلة النص بالموقف متضمنا المرسل والمستقبل وقناة الاتصال». ²⁴

أي أن التماسك التداولي يتضح من خلال العلاقة بين النص الذي يعد إنتاجا لغويا وبين عناصر غير لغوية، المتمثلة في: المرسل، المستقبل، قناة الاتصال، والتي بدورها تكون سياق الموقف، ذلك أن: «النص قطعة من الخطاب يتماusk في ذاته دلاليا، كما يتماusk براجماتيا، باعتبار الموقف "Situation"، ثم يتشكل نسيج النص "register" الذي يتغير تبعا لعوامل السياق المتكلم والمستمع والزمان والمكان والغرض من الاتصال». ²⁵ وهذا

هو جوهر التماسك التداولي؛ وذلك بـ «وجود ألفاظ لا تؤول موضعياً [...] فوجودها يدل على وجود بنية إجمالية تضمن بدورها انسجام الخطاب».²⁶ هذه الألفاظ تتطلب أكثر من غيرها معلومات عن السياق لتيسير فهمها منها الأدوات الإشارية. مثل: هنا، الآن، أنا، أنت... فإذا أردنا فهم مدلول هذه الوحدات استوجب علينا على الأقل معرفة هوية المتكلم، والمتلقي، والإطار الزمني والمكاني للمتلقي.²⁷ و«لأن هذه المعرفة لا يمكن أن تقوم على مجرد قرائن النص، بل هي معرفة سابقة على النص تعين القارئ على تقبل شكله التواصل النهائي، وتجعل منه شكلاً لغوياً ذا دلالة».²⁸

فالتماسك التداولي: «هو التماسك الذي يربط النص بمنشئه، النص في أصله الشفاهي كوحدة في إطارها المرجعي، إذ يتوفر فيه العصر الواحد والمكان الواحد والظروف السياقية الخاصة، وهذا ما يوفر دعماً قوياً للتماسك التداولي، لا يمكن أن يتوفر في النص المكتوب».²⁹ وهذا ما يؤكد «جمعان عبد الكريم» بقوله: «في الغالب لا يعطي كبير انتباه للارتباط الملحوظ (غير الملفوظ) للمعلومات في النص وكذلك المعرفة للعالم».³⁰

فالتماسك التداولي هو علاقة النص بالسياق غير اللغوي: سواء كان سياق تاريخي ثقافي، أو سياق مقامي، أو سياق اجتماعي. والذي يشمل عدة عناصر هي: المرسل، المستقبل، قناة الاتصال، الغرض من الاتصال الزمان، المكان وغالباً ما يكون ذلك في النص الشفوي باعتباره موقفاً تواصلياً، ويربط هذا المفهوم بالمعنى اللغوي للتماسك نجد أن التماسك التداولي هو ترابط وتظام عناصر السياق غير اللغوي والنص، وفي الواقع أن هذا الترابط والتظام ليس مقبول منطقياً، ولكنه مقبول باعتبار وصف الموقف ومعرفة المتكلم والسامع بالعالم. فاهو السياق والسياق غير لغوي وما مدى فاعليته في فهم النص/الخطاب؟

2/ السياق وعلاقته بالنص:

*تعريف السياق: (Contexte)

جاء في "لسان العرب": «سَاقَ الإِبِلَ يَسُوقُهَا سَوْقاً وَسَيْقاً، وَتَسَاوَقَتِ الإِبِلُ أَيَّ تَتَابَعَتْ».³¹ وفي "أساس البلاغة": «فَإِنْ يَسُوقُ الْحَدِيثَ أَحْسَنَ سَيْاقٍ [...]، وَهَكَذَا الْكَلَامُ مَسَاقَهُ إِلَى كَذَا».³² ومنه فإن السياق في اللغة يعني التتابع وسيق الكلام تابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.

أما اصطلاحاً فالسياق هو كل ما يحيط بالنص وينقسم إلى سياق لغوي الذي هو نسق النص، والسياق غير لغوي من حيث هو ظروف وملابسات الحدث الكلامي، وهو محور اهتمام التداولية. وقد جاء في "معجم تحليل الخطاب": «إن سياق عنصر ما (س) هو مبدئياً كل ما يحيط بهذا العنصر، وعندما تكون (س) وحدة لغوية فإن محيط (س) يكون في الآن نفسه من طبيعة لغوية (المحيط اللغوي) وغير لغوي (السياق المقامي والاجتماعي والثقافي). ويستعمل لفظ (سياق)، بحسب المؤلفين، للإحالة خاصة إلى المحيط اللغوي للوحدة، وإما إلى مقام التخاطب».³³

وبالرابط بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمصطلح "السياق" يتبين لنا أنه ن تابع للعناصر اللغوية من جهة، وعناصر غير لغوية من جهة أخرى تسمى الأولى "سياق لغوي"، وتسمى الثانية "سياق غير لغوي".

*السياق غير اللغوي: قبل الحديث عن معنى السياق غير اللغوي لابد من الإشارة إلى أنه يرادف كل من المقام، والحال، والموقف. ومن الدارسين الذين اهتموا بتحليل الخطاب في إطاره غير اللغوي نجد: "هاريس" (Hariss)، و"ميشيل" (Michel) و"لايوف" (Labov) و"أوستن" (Austin).³⁴ يقول "فيرث": «إن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة سواء كانت هذه السياقات لغوية أو اجتماعية، وهي ما أطلق عليه "فيرث" "سياق الموقف" أو ما أطلق عليه "بالمر" السياق غير لغوي». ³⁵ ويعرفه "فان ديك" بقوله: «إنه إعادة بناء نظري لعدد من ملامح السياق الاتصالي، تلك الملامح التي تشكل جزء من القيود، التي تجعل المنطوقات، بوصفها أحداثاً كلامية مصيبة، وهدف البراجماتية أن تصوغ هذه القيود، أي أن تبين كيف تترابط منطوقات من خلال هذا السياق. ولأننا نصّف المنطوقات نظرياً بأنها نصوص فإن الأمر يتصل هنا إذن بتمييز أوجه الربط بين النص والسياق».³⁶

فالسّياق عملية استرجاع ذهنية لعناصر التواصل، لتحقيق إفهام وفهم النص ومقبوليته لدى المتلقي. كما أن "فان ديك" يوضح أن هدف التداولية هي صياغة أو تجريد تلك العناصر، فكيف تسهم هذه الأخيرة في الربط بين المنطوقات مع السياقات غير اللغوية المحيطة بها، وهذا ما يعرف بالتماسك التداولي. وتعرفه "فرانسواز أرمينكو" بقوله: «مفهوم السياق: ونقصد به الوضعية الملموسة، والتي توضع وتنطق من خلالها مقاصد، تخص المكان، والزمان، وهوية المتكلمين، ... الخ. وكل ما نحن في حاجة إليه، من أجل فهم وتقويم ما يقال، وهكذا ندرك مقدار أهمية السياق، حين نحرم منه مثلاً».³⁷

فسياق الموقف هو جميع العناصر غير اللغوية المحيطة بالنص، والتي قد استعملها المتكلم أثناء إنتاجه للنص، والتي يحتاجها المتلقي من أجل فهم النص، ومن هذه العناصر الزمان، المكان، وهوية المتكلمين، ... وهو المفهوم نفسه عند "فان ديك". وفي هذا الصدد يوضح "محمود فهمي حجازي" العناصر المحددة للموقف كما يلي:³⁸

- أ/ المكان (مكان عمل، منزل، نادي، مدرسة، قطار... إلخ).
- ب/ الزمان (وقت عمل، وقت الراحة الأسبوعية، وقت العطلة الصيفية...).
- ج/ مكانة المتحدث (الوظيفة، الثروة، العمر... إلخ).
- هـ/ العلاقة بينهما (رسمية، قرابة، صداقة، عدم معرفة...).
- و/ الأفعال الغير لغوية المصاحبة للحدث (حركات اليد، قسّمات الوجه...).
- ز/ الموضوع (موضوع عمل، موضوع شخصي، موضوع سياسي...).
- ح/ العناصر المادية المحيطة بالموقف (منظر طبيعي، المنزل...).
- ط/ المعرفة السابقة بما دار (الموضوع الجديد، استكمال موضوع قديم...).

وتجدر الإشارة إلى أنه كلما زادت معرفة المتكلمين بهذه العناصر كلما زاد التماسك التداولي للنص.

3/آلية التماسك التداولي:

يستعمل المتلقي لفهم النص وتأويله وتحقيق مقبوليته لديه الإحالة المقامية (Situationnel) (إحالة خارج النص). «وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي، موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحب ضمير المتكلم، حيث يربط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم».³⁹ وعليه فإن "الإحالة المقامية" تسهم بشكل فعال في الربط بين النص والمقام، وذلك بالربط بين عنصر لغوي إحالي موجود في النص، وعنصر إشاري عن طريق علاقة، قد تكون سببية أو منطقية، حسب المقام الذي تحيل إليه، ومهما تكن تلك العلاقة فإنها قائمة على مبدأ الاتفاق بين "العنصر الإشاري" و"العنصر الإحالي"، وهذا الاتفاق يكون ذهنياً من أجل تأويل النص وفهمه.

ثانياً: مدارات التماسك التداولي في علوم القرآن:

يعرفه "صبيح الصالح" علوم القرآن بقوله: «عبارة عن مجموعة من المسائل يُبحث فيها عن أحوال القرآن الكريم من حيث نزوله وأدائه، وتكليفه وجمعه، وترتيبه في المصحف، وتفسير ألفاظه، وبيان خصائصه، أغراضه».⁴⁰ فهي مجموعة مباحث أو مسائل ذات موضوع مشترك هو القرآن الكريم تهدف إلى إدراك القرآن على حقيقته على وجه اليقين، والقرآن هو كلام الله المنزل إلى البشر بواسطة جبريل عليه السلام عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم.

1/عربية القرآن:

لا يمكن أن تتم عملية فهم الخطاب إلا إذا كان متلقيه عارفاً بلغته و متمكناً منها، وبما أن القرآن الكريم موجهاً للمتلقي العربي بصفة خاصة مقبلاً للمتلقي الإنسان بصفة عامة، كان الخطاب القرآني عربياً، ووجب على المتلقي لكي يفهمه أن يكون عارفاً بقواعد وأسرار اللغة العربية، لذلك صنفها علماء القرآن من بين علومه التي تعنى بفهم الخطاب القرآني وتأويله. فربط فهم الخطاب القرآني بثقافة المتلقي العربية ما هو إلا ربط بين النص/الخطاب والسياق الخارجي له غير اللغوي؛ لما يحمله هذا السياق من عناصر تتمثل هنا في المخاطب والثقافة، وهذا ما عناه علماء اللسانيات بتضمين النص ضمن سياقه الثقافي هذا التضمنين يكسب النص بعده التداولي، أو يؤكد تماسكه التداولي.

تكن العبرة من نزول القرآن الكريم باللغة العربية في إمكانية وقدرة العرب على فهمه وبيان معانيه، فالعربية وسيلة لفهم النص القرآني، وضابطاً لقراءته وبالتالي تفسيره وتأويله.⁴¹ فالقرآن قد نزل باللغة العربية وفق سنن العرب واستعمالهم لها، فالنص إذاً تأثر بالسياق الثقافي العربي. كما أنه أثر في هذا السياق بأن زاد هذه الثقافة

- العربية- شرفاً وعلواً كون المخاطب سبحانه وتعالى هو الخالق القادر الذي لا يعلو عليه أحد. إذاً هناك علاقة تأثير جدلية بين النص والسياق غير لغوي.

واللغة العربية لا تصف النص القرآني فحسب، وإنما أعانت على تفسيره وفهمه، وهذا ما يؤكد تماسكه مع السياق عام ثقافي عربي مراعيًا للمتلقى العربي الأول لإيصال قصد المتكلم سبحانه وتعالى وتحقيق الإفهام. فالقرآن يتماusk مع واقعه الخارجي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يتسق مع بناءه اللغوي، وهو ما يؤكد دور السياق العام في فهمه.

2/المكي والمدني:

اعتمد علماء القرآن في تعريفهم للمكي والمدني على اعتبارات ثلاثة، هي: اعتبار المكان، اعتبار المخاطبين، اعتبار الزمان. لما لها من أثر في النص القرآني.

أ/ باعتبار المكان:

يقول "الزركشي": «المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة»⁴²، ويقول "السيوطي": «المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وعلى هذا ثبتت الوساطة، فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني».⁴³ إن المكي والمدني هنا متعلق بالمكان دون الإلتفات إلى الزمن. فالمكان (بفاعليته) له دور عظيم في استقامة مقاصد المواقف وفق اعتبارات ما نزل من الآيات أولاً، وفي صيرورة المكان مقاساً للأحكام على تناسبها بالمقتضيات ثانياً.⁴⁴ فالمكان له دور في إيصال المقاصد للمتلقى لما يحتويه من عناصر للموقف لها شأن في تحقيق فهم النص القرآني وفي تناسب الأحكام مع المواقف من خلال تفسير العناصر الإحالية في النص؛ لتقوية مرجعيته، ولتحقيق الإقناع.

ذلك أنه عندما كان القرآن ينزل في مكة أول البعثة كان المسلمون قلة وكان المشركون كثرة، وللحديث مع الكفار أسلوبه، ولخاطبة المسلمين طريقتها، فالقرآن في مكة يدافع على أقلية المسلمين، ويبطل أباطيل الكفار ويقيم الحجّة عليهم، ثم هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فنزل القرآن في بيئة مسهلة ليبسط أحكام الدين، ويرسي قواعده ويبني المجتمع الإسلامي، ويؤسس صرح الدولة، ويجادل الأعداء الجدد: المنافقين من أهل الكتاب، ويدحض شبهاتهم، ويكشف مفترياتهم.⁴⁵ إن مراعاة المكان في التقسيم بين ما هو مكي وما هو مدني يكسب النص بعده التداولي. ويبين ذلك قدرة المتكلم سبحانه وتعالى في مراعاة حال المخاطبين في مكة والمدينة من جهة، وموافقة النص للمقام من جهة أخرى؛ ذلك أن مراعاة المقام وسيلة من وسائل إقناع المخاطبين. فالمكان كما رأينا له أثره في النص بإعتباره جزء من سياق الموقف، وبانتقال النص من مكة إلى المدينة انتقال في أسلوب النص من الدفاع عن المسلمين وإقامة الحجّة على الكفار إلى تشريع الأحكام وإقامة الدولة الإسلامية، ومجادلة المنافقين.

ب/ باعتبار الزمان:

وهذا الاعتبار هو المشهور كونه شامل لكل القرآن يقول "الزركشي": «أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة».⁴⁶ تجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد اختلاف بين من يحدد المكان ومن يحدد الزمان ولا يوجد تناقض بينهما، وإنما اعتبار المكان أو الزمن ما هو إلا ضابط للمكي والمدني، فحينما حدد الزمن فإنه قد حدد المكان، ولم يلغ. «وهو تقسيم صحيح سليم، لأنه ضابط حاصر ومطرّد لا يختلف، بخلاف سابقه».⁴⁷ كما يتحقق فيه عناصر: الزمان، والمكان، والأشخاص بالإضافة إلى عنصر رابع هو: عنصر الموضوع.⁴⁸ هذه العناصر كما سبق ذكر ذلك ماهي إلا عناصر لسياق الموقف.

فما نزل قبل الهجرة هو بالضرورة نزل في مكة على أهلها من الكفار مما يستلزم أن يكون النص القرآني موجه لهدايتهم وإرشادهم إلى الطريق الحق محمل بالحجج والبراهين المستمدة من واقعهم من أجل مقبولية هذا النص لديهم ومنه تحقيق اليقين بوجود الله سبحانه وتعالى. وما نزل بعد الهجرة فهو بالضرورة نزل في المدينة على أهلها من المؤمنين مما يستلزم أن يكون النص القرآني يحل مواضع أخرى غير تلك الموجهة للكفار في تحقيق مقصدية النص في هدايتهم وتحقيق إقناعهم بالنص وغايته.

فهذا التقسيم يستند إلى الواقع من جهة وإلى النص من جهة أخرى، إلى الواقع من حيث أن حركة النص ارتبطت بحركته، وإلى النص من حيث مضمونه وبنائه.⁴⁹ وذلك من خلال الترتيب الزمني المنطقي للمكي ثم المدني مما يعكس التماسك التداولي للنص، واختلاف النص من حيث المضمون والبناء في كل من مكة والمدينة.

ج/ باعتبار المخاطبين:

يورد كل من "الزركشي" و"السيوطي" و"الزرقاني": «أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة».⁵⁰ ثم يضيف "الزركشي" موضحاً هذا التعريف بقوله: «وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي، لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخطبوا بـ "يأيها الناس" وإن كان غيرهم داخلاً فيهم، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخطبوا بـ "يأيها الذين آمنوا" وإن كان غيرهم داخلاً فيهم».⁵¹ وألحق "السيوطي" صيغة "يا ابن آدم" بصيغة "يا أيها الناس".⁵² «لكن هذا المعيار معيار ناقص ذلك أن مخاطبات القرآن كثيرة جداً، والمخاطبين بالقرآن يتجاوزون ثنائية "الناس والمؤمنين". وكيف نصف مثلاً ما ورد في القرآن خطاباً للرسول المتلقي الأول للوحي وهو كثير؟».⁵³ وهذا التعريف يؤخذ عنه أنه:

أ- غير جامع لكل القرآن الكريم فهناك آيات جاءت خطاباً للمتلقى الأول للنص صلى الله عليه وسلم.

ب- أن هناك ما هو مكي وفيه "يأيها الذين آمنوا" مثل: سورة الحج فإنها مكية مع أن في أواخرها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ (الحج: 77). كما أن هناك ما هو مدني وفيه "يأيها الناس"، مثل: سورة النساء، فإنها مدنية وأولها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ (النساء: 01).⁵⁴

غير أن ما يلاحظ أن المخاطبين عبارة عن عنصر من عناصر سياق الموقف للنص. فمراعاة المخاطبين تكسب النص بعده التداولي. وذلك بأن يراعي المتكلم حال المخاطبين، ومستواهم المعرفي، والاجتماعي، والثقافي. فالخطاب لا يكون مقنعاً إلا إذا كان مكيفاً وموجهاً لكل من المخاطبين في مكة والمدينة؛ لأن مستويات ودرجات الإفهام لديهم تختلف. وهنا تثبت قدرة المتكلم سبحانه وتعالى في ملائمة النص القرآني للمخاطبين في كل من مكة والمدينة.

د/قرائن التماسك التداولي في المكي والمدني: يمكن أن نوجزها في الجدول التالي:

المستوى	مستوى الألفاظ		مستوى المعاني والأغراض		مستوى الشكل	
	المكي	المدني	المكي	المدني	المكي	المدني
المستوى	- يأياها الناس - يا بني آدم - كلا - بداية السورة بحرف المعجم	- يأياها الذين آمنوا	- كل السور فيها قصة آدم وإبليس سوى سورة "البقرة". - كل سورة فيها ذكر للقرون الماضية. - كل سورة فيها ذكر للأمم والعذاب - كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية - المفصل.	- كل سورة ذكر فيها للمنافقين سوى سورة "العنكبوت" - كل سورة فيها ذكر للحدود والفرائض. - كل سورة فيها إذن بالجهاد وبيان الحكم الأجهاد.	كل سورة فيها تبيحة	طول السور

- تحليل الجدول في ضوء التماسك التداولي في المكي والمدني:

1- مستوى الألفاظ:

لما كان الغالب على أهل مكة الكفر خطبوا "بأيها الناس" كما خاطبهم الله بـ "يا بني آدم"، ولما كان غالب على أهل المدينة الإيمان فخطبوا بـ "أيها الذين آمنوا".⁵⁵ بما في ذلك من مراعاة لحال المتلقي الذي هو عنصر من عناصر السياق. كما كثر في المكي لفظ "كلا" الدالة على نهي الكفار في مكة عن معتقداتهم وكفرهم، وذلك لأن «الخطاب في مكة لا يتجاوز حدود الإنذار ومصارعة المفاهيم القديمة على مستوى الفكر».⁵⁶ كما نلاحظ بداية السور المكية بحروف المعجم العربي، ذلك أن النص مرتبط بسياق ثقافي عام وهو اللغة العربية السائدة في مكة، والمعروف على أهل مكة الفصاحة، هذا السياق يؤثر بشكل أو بآخر في النص،⁵⁷ ويتجلى هذا التأثير هنا في حروف المعجم العربي في بداية السور المكية.

ب - مستوى المعاني والأغراض:

تبين لنا سابقا إدراك علماء القرآن اختلاف ألفاظ الخطاب بين المكي والمدني وسيوضح لنا أيضا الاختلاف في المعاني والأغراض التي تنطوي عليها بنية النص في هذين المرحلتين الكبيرتين؛ لأن الانتقال من مكة إلى المدينة ليس مجرد انتقال في المكان، لقد تغير الخطاب واختلف في المعاني والأغراض. فلما كان أغلب أهل مكة كفار جاء الخطاب محملاً بالحج والبراهين لتحقيق إقناعهم بقدرة الله سبحانه وتعالى مُنزل الكتاب على رسوله صلى الله عليه وسلم. هذه الحج تكون بمطابقة النص لواقع المخاطبين وتاريخهم من قصص وأخبار عن العصور الماضية هذه القصص هي قصص آدم وإبليس والأنبياء، والأهم الحالية. ذلك لأن النص ما هو إلا ثمرة للتفاعل مع الواقع الحي التاريخي.⁵⁸

ثم يتغير الخطاب في المدينة المنورة ليتوافق مع المجتمع الجديد محملاً بالحدود والفرائض التي ينبغي أن يلتزم بها الشخص المؤمن. وفي ظل هذا المجتمع الجديد ظهرت فئة منافقة خصها المرسل سبحانه وتعالى بالخطاب في بعض السور، ومن المفترض أيضا أن يكون الجهاد بعد الإيمان لذلك جاء الخطاب الموجه للمؤمنين في المدينة حاملاً لأحكام الجهاد، وهكذا يكون النص ملائماً للمخاطبين لتحقيق فهم النص وإقناعهم به.

ومن هنا يتضح لنا وعي علماء القرآن بالعلاقة الوطيدة بين النص القرآني والسياق الثقافي العام (سياق اجتماعي، ثقافي، تاريخي) في المكي والمدني.

«إن مكة والمدينة أكبر من مجرد مكانين ماديين محددين بل هما مكانين محملاً بالدلالات السيموطيقية، التي تجعلها مكونين للنصوص، ومكونين بها، فعند ذكر أي منهما لا يتوقف الذهن عند هذه الحقيقة المادية أو تلك، ولكنه يثرى بالدلالة السيموطيقية التي كونتها هذه وتلك وتركت أثرها على النصوص، بحيث يعدو قراءة النص دون معرفتها إخلالا به».⁵⁹ بل إن النص لا يتغير فقط بتغير المكانين - مكة والمدينة - وإنما يتغير تدريجياً

في كل منهما خاصة في مكة، حيث أن "الزرقاني" يورد تدريجياً في المكي، فكان النص يتغير بتغير المراحل الزمنية، وبتغير الوقائع، والحالة النفسية والاجتماعية للمخاطبين كافرين أو مؤمنين. سنلخصها فيما يلي:⁶⁰

1. تقدم الحجج الكافية بمطابقة النص بالواقع لتبين تلك الآلهة المزيفة التي كان الكفار يعبدونها.
2. مناقشتهم في عقائدهم الضالة، بعدما احتجوا بها.
3. بين منطقية وواقعية النص القرآني، ومقبوليته في أنفسهم.
4. تحدث عن عاداتهم القبيحة، وبين لهم خطأها.
5. بين لهم أصول الأخلاق، وحقوق الاجتماع، وشرحها شرحاً عجيباً كره إليهم الكفر وجلب إليهم الإيمان.

6. قص قصص الأنبياء والأمم السابقة لأخذ العبرة منها.

7. اعتماد الإيجاز في خطابه أهل مكة لأنهم كانوا أهل فصاحة، فيناسبهم الإيجاز دون الإطناب.

3/ أسباب النزول:

إن "أسباب النزول" من أهم العلوم الدالة والكاشفة على التماسك التداولي، من خلال علاقة النص بالواقع وجدله معه، لما لهذه العلاقة من تحقيق "الفهم والإفهام"؛ بملائمة النص للمخاطبين وبيان قصد الله سبحانه وتعالى. وأسباب النزول: «هي المناسبات الزمانية والمكانية والشخصية والجماعية التي نزلت فيها آيات معينة، بياناً لحكم فيها استشكل على الجماعة المؤمنة».⁶¹ فعملية استحضار الزمان والمكان والشخصية "المخاطب والمخاطب" والجماعة "الحضور" ما هي إلا إعادة بناء للموقف التواصلي للآيات من أجل بيان مقصدية النص أو الحكم. وتبين إعادة البناء هذه التماسك التداولي للنص القرآني. فأسباب النزول هي: «دراسة أجزاء النص من حيث علاقتها بالظروف الخارجة أو بالسياق الخارجي لتكوين النص وتشكله».⁶² وقد أدرك علماء القرآن أن سبب النزول أو سياق الموقف هو الذي يحدد الإطار الواقعي الذي يمكن من خلاله يفهم النص القرآني، فهو يبحث «عن دلالة النص على الوقائع الخارجية».⁶³ غير اللغوية التي تحدد التماسك التداولي للنص القرآني.

• قرائن التماسك التداولي في أسباب النزول: هذه القرائن:

أ/ قد تتوفر داخل النص القرآني وتدعى قرائن لفظية. مثال ذلك سورة "عبس" وسورة "المجادلة". قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَظُنِّي (٣)﴾ (سورة عبس: الآية 1، 2، 3)، إلى آخر الآيات التي تشير إلى سبب نزول السورة. وكذلك في قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (سورة المجادلة: الآية 1). غير أنه ورغم إمكانية معرفة سبب النزول من خلال القرائن اللفظية إلا أنه لا يمكن معرفة قصة النزول إلا من خلال الرواية الصحيحة، فالقرائن اللفظية تدل على العلاقة بين النص القرآني وسبب النزول.

ب/ وقد تتوفر القرائن خارج النص وتدعى "قرائن حالية"؛ حيث يرد سبب النزول في أقوال العلماء والصحابة رضوان الله عليهم نصاً صريحاً في السببية إذ قال الراوي: «سبب نزول هذه الآية كذا». ⁶⁴ أو «نزلت هذه الآية في كذا». ⁶⁵ كما يمكن أن يكون النص الصريح "بالفاء التعقيبية" بأن يأتي الراوي: «بفاء تعقيبية داخلية على مادة النزول بعد ذكر حادثة أو سؤال، كأن يقول: حدث كذا وكذا، أو سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية أو فنزلت هذه الآية». ⁶⁶ غير أن "الزرقاني" يعتبر عبارة "نزلت هذه الآية في كذا" ليست نصاً في السببية «بل تحتملها وتحتمل أمراً آخر، هو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام والقرائن وحدها التي تعين أحد هذين الاحتمالين أو ترجيحه». ⁶⁷ وتكون بذلك الصيغة محتملة للسببية. وغيرها من العبارات التي تدل على ارتباط أو تماسك النص مع سياق الموقف صراحة. وقد يفهم سبب النزول من المقام ومثاله رواية جابر: «ومرة يسأل الرسول، فيوحي إليه ويحيب بما نزل عليه ولا يكون تعبير بلفظ سبب النزول، ولا تعتبر بتلك الفاء، ولكن السببية تفهم قطعاً من المقام». ⁶⁸

وقد تكون قرينة التماسك التداولي احتمالية غير جازمة كما في عبارة «أحسب هذه الآية نزلت في كذا، كما أخرجه الأئمة الستة.* عن عبد الله بن الزبير قال: "خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرّة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك" فقال الأنصاري "يا رسول الله: أن كان ابن عمك؟ فتلون وجهه، الحديث. قال الزبير فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم". ⁶⁹

فقرائن التماسك التداولي في أسباب النزول تتوفر في داخل النص وتسمى قرائن لفظية وتكون بمثابة العلاقة بين النص والسبب. وقد تتوفر خارج النص من خلال أقوال العلماء والصحابة بلفظ صريح أو احتمالي أو قد تفهم من المقام.

4/ علم المبهمات:

يعتبر "علم المبهمات" من أكثر العلوم التي اعتمد فيها علماء القرآن على السياق غير اللغوي لتفسير مبهمات القرآن؛ أي العناصر الإحالية في النص القرآني وما تحيل إليه في السياق الخارجي، وهنا تبرز أهمية هذا السياق في فهم وتفسير المبهم عن طريق الإحالة المقامية.

يرجع المبهم في معناه اللغوي للفعل الثلاثي "بهم"، حيث أورد "الزخشري" في "أساس البلاغة": «بهم، أبهم الباب: أغلقه، واللون البهم: مالا شبيه فيه أي لون كان إلا الشبهة. يقال: ليل بهم وليال دهم بهم [....]، وأبهم فلان على أمر وكلام مبهم: لا يعرف له وجه». ⁷⁰ ولا يختلف عنه "الكفوي" كثيراً حيث ذكر في "الكليات": «أبهمت الباب، أغلقته، بهم الأمر، اشتبه». ⁷¹ ومنه فالغلق والغموض والشبهة والخفاء من أهم معاني لفظة "المبهم". أما من ناحية الاصطلاح فنجد "دومينيكي ما نغونو" قد أطلقت مصطلح المبهمات: «embrayeurs» على الوحدات اللغوية التي تتوقف قيمتها المرجعية على المحيط الزماني والمكاني لورودها». ⁷²

إن المبهم يستلزم وجود مرجع الذي يمثل في عناصر غير لغوية منها: الأشخاص، والزمان والمكان. هذه العناصر اعتمدها علماء القرآن في تقسيم المبهمات. فهناك مبهمات دالة على "أشخاص" كما مثل لها "السيوطي" من خلال قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ (النحل: 103)، فقد ذكر "السيوطي" بأن المقصود هو: «عبد بن الحضرمي».⁷³ ومبهمات دالة على "أمكنة"، كما في قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَى﴾ (التوبة 108)، فقد ذكر "الزركشي" المكان بقوله: «فإنه ترجح كونه مسجد قباء».⁷⁴ بالإضافة إلى مبهمات دالة على "الزمن"، على حد ما ذكره "الزركشي" في نفس السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (التوبة 108) أي: «أول عام من الهجرة».⁷⁵

• قرائن الإبهام:

يعتمد الإبهام على جملة من القرائن والمحيلات التي تسهم في تفسير النصوص وإيضاح المعنى، وذلك ببيان العلاقة بين العناصر اللغوية وغير اللغوية. نتوزع على الشكل التالي:

1/الكائنات:

أ- الضمائر:

يعتبر الضمير من ضمن العناصر المبهمة التي يجب إحالتها إلى مرجع لتفسيره وتوضيح معناه. وكما ذكر "أشرف عبد البديع عبد الكريم" بأن: «الإحالة تدخل ضمن إطار المبهمات».⁷⁶ ومنه فالضمائر هي من العناصر المبهمة. مثال: ضمائر الحضور:

- ضمائر المتكلم: من خلال قرينة الضمير العائدة على المتكلم باعتباره المرسل للرسالة. وقد مثل لها السيوطي في أكثر من موضع. كما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (إبراهيم 37)، فالضمير المبهم يظهر في الفعل "أسكنت" من خلال الضمير المستتر "أنا" وهو حسب ما أورده السيوطي عائد على سيدنا "إبراهيم عليه السلام".⁷⁷ وهو قام بتفسير المعنى وبهذا يمكن اعتباره مرجعا.

- ضمائر المخاطب: من بين الضمائر المبهمة في ذاتها كذلك هناك ضمائر المخاطب التي تضم: "أنت، أنت، أمتا، أنتن، أنتم". وقد وردت هذه الضمائر في أكثر من موضع كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: 3) قيل: «نزلت في العاص بن وائل، وقد سماه الأبتَر، والأبتَر: الذي لا عقب له، ومنه الحمار الأبتَر الذي لا ذنب له».⁷⁸ فضمير المخاطب في "شانتك" عائد على الشخص المخاطب وهو كما سبق ذكره: "العاص بن وائل"⁷⁹ وهذا ما أورده كذلك السيوطي والزنجشيري في كشفه.

ب-الأسماء الموصولة:

إن الإسم الموصول هو من ضمن الأسماء المبهمة التي لا تفسر إلا بوجود قرينة وهي الصلة العائدة عليه التي توضحه وتزيل الإبهام عليه. وهذا ما أوضحه "ابن جني" بقوله: «هذه الأسماء تتم معانيها إلا بصلات توضحها

وتخصصها».⁸⁰ وقد مثل لها "السيوطي" بقوله تعالى: ﴿الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ (الأعراف 175). فالاسم الموصول "الذي" حسب ما ورد عند "السيوطي" عائد على شخص يدعى: «بلعم [....] وقيل: هو أمية بن أبي الصلت».⁸¹ وقد أوضحه "الزخشري" أكثر بقوله: هو «عالم من علماء بني إسرائيل وقيل: من الكنعانيين، اسمه: بلعم بن باعوراء».⁸² فاسم الموصول "الذي" مبهم في ذاته تطلب من أجل إيضاحه وجود صلة وقد كانت في قوله: ﴿الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ (الأعراف 175). والمرجع الذي فسره هو: "بلعم بن باعوراء" حيث اتضح من خلال الصلة بأنه شخص كافر.

2/الوحدات المعجمية: تنقسم الوحدات المعجمية إلى "وحدات معرفة"، وأخرى "منكرة". و حدد "ابن جني" "النكرة" بقوله: « ما لم تخص الواحد من جنسه».⁸³ أما "المعرفة" فهي: «ما خص الواحد من جنسه».⁸⁴ ولكل منهما مقاما لا يليق بالآخر. وبهذا تكون المعرفة أخص من النكرة، وأكثر دلالة على المراد. لذا فإن لكليهما قرائن تتضح في النص وتعرف عن طريق السياق اللغوي الذي يعتبر: «المرجع الذي تتحدد به دلالة الكلمة».⁸⁵ ومن هذا يتضح أن للسياق أثر في تفسير النص وإظهار دلالاته. وهذا ما أكد عليه "الزركشي" حيث جعله من الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال وهو بالنسبة له من أعظم القرائن الدالة على المراد. وفي هذا ينبه إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان 49)، موضحاً أن سياقه يدل على الذليل الحقير.⁸⁶ والملاحظ من هذا أن "الزركشي" لم يعتمد في الوصول إلى هذه النتيجة على عناصر خارجة على النص، وإنما على طريق السياق اللغوي والتركيب اللفظي للآيات.

وفي الآيتين (15 و 17) من سورة الليل في قوله عز وجل. ﴿الْأَشْقَى﴾ و﴿الْأَتَقَى﴾ فالكلمتين المعرفتين المبهمتين تشيران إلى أن الأول شخص مؤمن جزاؤه الجنة، أما الثاني تشير إلى شخص كافر جزاؤه النار. لكن إذا رجعنا إلى ما قاله "السيوطي" فالمقصودان من هذا هما: «أبو بكر الصديق» و«أمية بن خلف».⁸⁷ وقد وافقه "الزخشري" بقوله: « فقيل: الأشقى وجعل مختصاً بالصلي، كأن النار لم تخلق إلا له. وقيل: الأتقى، وجعل مختصاً بالنجاة، وكأن الجنة لم تخلق إلا له. وقيل: هما "أبو جهل" أو "أمية بن خلف"، أو أبو بكر" - رضي الله عنه ».⁸⁸ فلمبهم هنا ظهر في الكلمتين "الأشقى" و"الأتقى" وقد فهم المقصود منهما بحسب السياق غير اللغوي من خلال ما قاله المفسران. إن حضور قرائن الإيهام في النص ساهم في تماسكه وذلك من خلال العلاقة بين الإحالة والمرجع التي وضحت المعنى بعدما كان مبهماً، ليكون واضحاً في ذهن متلقيه.

الإحالات:

¹ الزخشري: أساس البلاغة. تح: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، ج 2، 1988. ص 213.

² أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون. دار الجليل، ط 2: 1991. ج 2، ص 321.

³ ابن منظور: لسان العرب. تح: عامر أحمد حيدر. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1: 2005. مج 6، ص 360.

⁴ عزة شبل محمد: علم لغة النص "النظرية والتطبيق". مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2: 2009. ص 184.

- ⁵ روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء. تز: تمام حسان. عالم الكتب، ط1: 1998. ص103.
- ⁶ روبرت دي بوجراند وولفغانغ دريسلر: مدخل إلى علم لغة النص. تز: الهام أبو غزالة وعلي خليل حمد. مطبعة دار الكتاب، نابلس، ط1: 1992. ص11.
- ⁷ فولفجانج هاينة وديتر فينيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي. تز: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، د ط: 1999. ص93.
- ⁸ الأزهر الزناد: نسيج النص "بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً". المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1: 1993. ص48.
- ⁹ صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. "دراسة تطبيقية على السور المكية". دار قباء، ط1: 2000. ص30.
- ¹⁰ خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات. دار القصة للنشر، الجزائر، ط2: 2000. ص193.
- ¹¹ باتريك شارودو ودومينيك منغون: معجم تحليل الخطاب. ترجمة: عبد القادر المهيري وحادي صمود. دار سينترا، تونس، د ط: 2008. ص100.
- ¹² محمد خطايي: لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب". المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1: 1991. ص5.
- ¹³ جمعان عبد الكريم: إشكالات النص "المدخلة النموذجية دراسة لسانية نصية". النادي الأدبي بالرياض، ط1: 2009. ص221.
- ¹⁴ المرجع السابق. ص5-6.
- ¹⁵ باتريك شارودو ودومينيك منغون: معجم تحليل الخطاب. ص100.
- ¹⁶ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء. ص103.
- ¹⁷ تارافهاد شاكر: تماسك النص بين التراث والغرب. كلية اللغات، جامعة صلاح الدين، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد22، العدد6، 2014، ص1330.
- ¹⁸ سعيد حسن البحيري: علم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات". مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1: 1997. ص110.
- ¹⁹ صبحي إبراهيم الفقي: المرجع نفسه. ص96.
- ²⁰ رزيق بوزغاية: قيام الساعة في القرآن الكريم مدلولية النص ومرجعيتها (أطروحة دكتوراه العلوم في اللغويات)، إشراف: صالح خديش، جامعة منتوري قسنطينة: (2012-2013). ص96.
- ²¹ سعيد حسن بحيري: المرجع نفسه. ص307.
- ²² المرجع نفسه. ص110.
- ²³ خلود العموش: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثال سورة البقرة". جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1: 2008. ص20.
- ²⁴ صبحي إبراهيم الفقي: المرجع نفسه. ص33.
- ²⁵ عزة شبل محمد: علم لغة النص "النظرية والتطبيق". ص187.
- ²⁶ آن ريبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل. تز: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني. دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1: 2003. ص211.
- ²⁷ أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي. مكتبة زهراء الشرق، ط1: 2001. ص99.
- ²⁸ رزيق بوزغاية: المرجع نفسه. ص223.

- ²⁹ جمان عبد الكريم: إشكالات النص. ص 222.
- ³⁰ روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء. ص 299.
- ³¹ ابن منظور: لسان العرب. ص 2153.
- ³² الزمخشري: أساس البلاغة. ص 314.
- ³³ باتريك شارودو ودومينيك منغون: معجم تحليل الخطاب. ص 133.
- ³⁴ خلود العموش: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق. ص 23.
- ³⁵ محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة. دار قباء الطبع و النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، ص 159.
- ³⁶ فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات. تز: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط 1: 2001. ص 135.
- ³⁷ فرانسواز ارمينكو: المقاربة التداولية. تز: سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي، دط، ص 3.
- ³⁸ محمد فهمي حجازي: المرجع نفسه. ص 120 - 121.
- ³⁹ أحمد عزت يونس: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم. دار الأفاق العربية، ط 1: 2014. ص 79.
- ⁴⁰ صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن. دار العلم للملايين، بيروت، ط 10: 1977. ص 10.
- ⁴¹ مساعد بن سليمان الطيار: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير. دار المحدث، الرياض، ط 1: 2004. ص 37.
- ⁴² محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن. تخ: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 3: 1984. ص 187.
- ⁴³ جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. تخ: مركز الدراسات القرآنية. مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، دط: 1426. ص 45.
- ⁴⁴ سعد بولنوار: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديد المفاهيم النظرية "بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة وآدابها" تخصص: الأدب العربي ونقد. لشران، البوخ بوحلين، 2011، 2012، ص 200.
- ⁴⁵ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط 14: 1426. ص 134 - 135.
- ⁴⁶ محمد ابن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن ص 187.
- ⁴⁷ المرجع نفسه. ص 160.
- ⁴⁸ صبحي صالح: مباحث في علوم القرآن. دار العلم للملايين، بيروت، ط 10: 1977. ص 168.
- ⁴⁹ نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسات في علوم القرآن الكريم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط: 1990. ص 87.
- ⁵⁰ محمد ابن عبد الله الزركشي: المرجع نفسه، ص 187. جلال الدين السيوطي: المرجع نفسه. ص 46. محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن. تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1: 1990. ص 159 - 160.
- ⁵¹ محمد ابن عبد الله الزركشي، المرجع نفسه. ص 187.
- ⁵² جلال الدين السيوطي: المرجع نفسه. ج 1. ص 106.
- ⁵³ نصر حامد أبو زيد: المرجع نفسه. ص 87.

- ⁵⁴ محمد عبد العظيم الزرقاني، المرجع نفسه. ص 160.
- ⁵⁵ محمد ابن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 191.
- ⁵⁶ نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسات في علوم القرآن. ص 87.
- ⁵⁷ محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن. مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1: 2009. ص 97.
- ⁵⁸ أبو إسلام أحمد بن علي: قرآنا في القرآن الكريم. الاسكندرية، مصر، دط: 2013. ص 55.
- ⁵⁹ المرجع السابق. ص 98.
- ⁶⁰ محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن. ج 1. ص 166.
- ⁶¹ عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 3: 2007. ص 30.
- ⁶² نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن. ص 180.
- ⁶³ المرجع نفسه، ص 180 - 181.
- ⁶⁴ مناع خليل القطان: مباحث في علوم القرآن. مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 7: 1990. ص 81.
- ⁶⁵ فهد بن عبد الرحمان ابن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن. ص 151.
- ⁶⁶ المرجع نفسه: ص 153.
- ⁶⁷ محمد عبد العظيم الزرقاني: المرجع نفسه. ص 96.
- ⁶⁸ المرجع نفسه. ص 96.
- * البخاري، مسلم، أبو داود، والترمذي، ابن ماجه والنسائي.
- ⁶⁹ جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج 1. ص 206 - 207.
- ⁷⁰ الزمخشري: أساس البلاغة. ص 85.
- ⁷¹ أبو البقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط 2: 1998. ص 33.
- ⁷² دومينيك ماغنونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب. تر: محمد يحياتن. الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، دط: دت. ص 47.
- ⁷³ جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج 5. ص 2044.
- ⁷⁴ محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ج 1. ص 157.
- ⁷⁵ المرجع نفسه. ص 158.
- ⁷⁶ أشرف عبد البديع عبد الكريم: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم. مكتبة الآداب، القاهرة، دط: 2007. ص 58.
- ⁷⁷ جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ص 2042.
- ⁷⁸ المرجع السابق. ج 5. ص 2020.
- ⁷⁹ المرجع السابق، ج 6، ص 446.
- ⁸⁰ أبي الفتح عثمان بن جني: اللع في العربية. تحقيق: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، عمان. دط: 1978. ص 124.
- ⁸¹ جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج 5. ص 2031.

- ⁸² الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، تعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العايلكان، الرياض، دط: 1998، ج2، ص 531.
- ⁸³ أبي الفتح عثمان ابن جني: اللع في العربية، ص، 74.
- ⁸⁴ المرجع نفسه، ص75.
- ⁸⁵ محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، ص 109.
- ⁸⁶ درسي صالح: الزركشي والأجراء السياقي (توزع المفهوم). (مقال). مجلة الخطاب. منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، ع6: 2010، ص 174.
- ⁸⁷ جلال الدين السيوطي : الإلتقان في علوم القرآن، ج5، ص 2066.
- ⁸⁸ الزمخشري: المرجع نفسه، ج6، ص 388.